التداولية الأنثروبولوجية

Anthropological pragmatics

رواء صبيح حميد

العراق-بغداد- الجامعة المستنصرية - كلية الاداب

Rawaa Sabeih Hamed-iraq-baghdad- Al-Mustansiriyah-College of arts

rawamr185@gmail.com

ا.د ياس خضر عباس

العراق-بغداد- الجامعة المستنصرية-كلية الاداب

yassyassoo@gmail.com

Prof. Dr Yas Khuder Abbas

iraq-baghdad- Al-Mustansiriyah

College of arts

الملخص

تم بيان مصطلح التداولية الأنثروبولوجية (Anthropological pragmatics) للإشارة إلى ذلك الجزء الذي لا يتجزأ من الانثروبولوجيا اللغوية , الذي يهتم بإظهار البعد ألاستعمالي في دراسة الظواهر اللغوية الذي لا يتعلق تفسيرها باللغة في حد ذاتها, بل يرتبط تأويل الظاهرة وتحصيل تفسيرها بالسياق الثقافي الأعم الذي تحدث فيه , واتجه البحث نحو بيان أهم المواقف النظرية والتطبيقية لسياق الحال الثقافي وكانت أبرزها للأستاذ برنسلاف مالينوفسكي (B. Malinowski) وأراء الأستاذ جون روبرت فيرث(J.R. Firth) صاحب المدرسة السياقية الاجتماعية الذي تبنى فكرة (سياق الحال).

كلمات مفاتيح: التداولية الانثروبولوجية، روابط المجاملة، سياق الحال , برنسلاف مالينوفسكي , جون روبرت فيرث

Abstract

The term anthropological pragmatics has been clarified to refer to that part that is integral to linguistic anthropology, which is concerned with showing the use dimension in the study of linguistic phenomena whose interpretation is not related to language per se, but the interpretation of the phenomenon and the collection of its interpretation is related to the general cultural context in which it occurs , and the research directed towards clarifying the most important theoretical and applied positions for the context of the cultural situation, most notably Professor (B. Malinowski) and the opinions of Professor (J.R. Firth), the owner of the social contextual school, who adopted the idea of (situation context).

Keywords: Anthropological pragmatics, phatic communion, context of situation , B. Malinowski, J.R. Firth

المقدمة

في الوقت الذي أضحت فيه التداولية ملتقى لعدة تخصصات لسانية وانثروبولوجية وفلسفية ونفسيه ولم تعد علما لغويا محضا بالمعنى التقليدي، علم يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية، ويتوقف عند حدودها وإشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره (صحراوي، (٢٠٠٥) . ص ١٦) وهي فرع من فروع دراسة العلامات وأنظمة الإشارات، برزت التداولية الأنثروبولوجية التي هي توسيع منظور البحث للعلامات المناسبة التي تتطلب من الباحث أن يراها كجزء لا يتجزأ من دراسة التواصل البشري، وسياقة المتغير.

أن الجزء الانثروبولوجي من التداولية جاهز لتزويد الباحث بالأدوات المناسبة للوصف الاثنوغرافي لحدث خطابي كامل يمكن أن يشمل عددا لا بأس به من أعمال الكلام الفردية. لذلك، لا يكفي أن تستشهد التداولية الأنثروبولوجية ببيان شخص ما، ولكن من الضروري أيضا أن تضيف متى، ولمن، ولأي كلمة أدلي بهذا البيان، وبالمثل لا يكفي اقتباس أمر طلب أو وعد أو اعتذار، ولكن يتعين على الباحث وصف العملية الكاملة لتوصيل المعلومات، بما في ذلك ظروفها غير اللفظية، والتي يمكن أن تؤثر على معنى المعلومات المعنية. يجدر التأكيد على أنه لغرض هذا العمل، وتبسيط مسألة معقدة إلى حد ما، أن موضوع البحث الحاسم التداولية الأنثروبولوجية هو دراسة جوهر اللغة وجوهر الثقافة في شكلهما المشترك والمتزامن، الانتظام في بيئة وظيفية محددة وسياقية من هذا تتبين لنا حقيقة أن هناك تقليدان علميان متميزان يتعاملان مع ما نفعله إي (ممارساتنا): أما العلوم الاجتماعية المعنية بالأفعال والأحداث، مثل الانثروبولوجيا، أو العلم المنطقي

-اللغوي للأنظمة التي تتمحور حول الافتراضات لأفعال الكلام (koyama, 2006 . p ٣٠٤)

إذا ينبغي الاتفاق الى أن القواعد التي بموجبها يفترض قانون الكلام مسبقا عناصر معينه من النظام الأصلي للمفاهيم الثقافية تسمى «وظيفة فعل الكلام» وان دراسة الكلام فقط هي من أجل قيمته المنطقية، وبالتالي، ندرك قيمته على أنها فريدة في تقاليدنا وتعد تقدير جزء بسيط من معنى سلوك الكلام.

وهناك معتقد يشير الى أن الاتصال البشري لا يرتبط فقط بنقل النصوص من شخص إلى آخر، ولكنه عملية معقدة تتضمن التنظيم المفاهيمي والتنسيق المادي وتبادل جميع المعلومات شفهيا، ويقوم الأشخاص بفك تشفير الرسائل وترميزها بناء على الأطر المرجعية الظرفية والاجتماعية والثقافية، وان الأنثروبولوجيا اللغوية هي التي تبحث في كيفية تنظيم الناس لأماكن معيشتهم، والطرق التي ينظم بها الناس أنظمتهم الرمزية المتغيرة ديناميكيا لتبادل المعلومات. من وجهة النظر التاريخية، أستخدم اسم «الأنثروبولوجيا اللغوية» أحيانا لوصف التحقيقات في اللغات التي تفهم على أنها ظواهر ذات طبيعة لغوية لأغراض أنثروبولوجية. كما تستخدم أدوات البحث اللغوي وأساليب التحقيق اللغوي ولكنها لا تمتنع عن طرق البحث المطبقة بشكل شائع في الانثروبولوجيا الثقافية أو الاثنوغرافيا. وفي أيامها الأولى كان التركيز بشكل كبير على تكامل: الانثروبولوجيا الثقافية والانثروبولوجيا البيولوجية وعلم الآثار والتداولية واللغويات، والتي كانت حاسمة في تفسير الثقافة قيد المناقشة. ونشأ عما ورد أعلاه الحاجة إلى معرفة وفهم الطريقة التي تعمل بها لغة معينة في منظورها الثقافي الأوسع.

بذل باحثو مدرسة الأستاذ فرانز بواس أي ادوارد سابير، وبنجامين لي

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

وورف، والفريد كروبر، قصارى جهدهم من أجل اكتشاف ليس فقط الثقافة التي كانوا يبحثون عنها، ولكن أيضا لغة تلك الثقافة المعينة التي يتم توثيقها عن طريقه الملاحظة الشاملة للمشارك (Kroe-ber, 1953 . pp٢٦٠-٢٧٥) ويمكن أن يطلق عليهم حقا رواد علم اللغة المعاصر في هذا المجال، ومن بين القضايا الأخرى، كانت تلك الطريقة بالذات هي التي ساعدت في إثبات حقيقة عدم وجود لغات «أفضل» أو «أسوأ» وأنه يجب فحص جميع اللغات بالرجوع إلى ثقافتها ومستخدميها، وفقا للبحث المعاصر، يمكننا التمييز بين مفهومين رئيسين في الانثروبولوجيا اللغوية، وهما: الثقافة واللغة، حيث يمكن تصور مفهوم الثقافة كمجال للممارسات التي يبني الناس بواسطتها واقعهم الاجتماعي. وتتم العملية برمتها عن طريق أنماط التواصل اللغوي على مستوى رمزي للغاية، والتي من خلالها يمكن الحفاظ على البنى الاجتماعية وتغييرها في أذهان الأفراد المتصلين وكذلك في الواقع اللغوي الإضافي. ويتم توجيه الموضوع الرئيسي لأي بحث موجه نحو الانثروبولوجيا اللغوية الى توثيق تقلب المعنى المرصود عند التواصل بين الأفراد على أساس ممارساتهم اللغوية. اذ تعد عملية بناء المعنى أساس إي ممارسة استطرادية وأي منظور بحثي شرع فيه الباحثون العاملون في هذا المجال. اذ توجه انثروبولوجيا اللغة اهتماماتها نحو البحث في العلاقات بين الثقافة واللغة ومجتمع الكلام المحدد. وتوثيق اللغات (بما في ذلك اللغات المهددة بالانقراض والمحتضرة) واللغويات التصنيفية -تجري أبحاثا حول انواع لغات العالم، ولغويات الاتصال هي تخصص علمي جديد نسبيا يمكن تقسيمه إلى: لغويات الاتصالات الخارجية والاجتماعية، على سبيل المثال، (البحث في اليات موت اللغة الناتجة عن الاتصالات بين اللغات

الأقوى والأضعف سياسيا) ولغويات الاتصالات الداخلية والاجتماعية في المواقف المتغيرة (على سبيل المثال، الاثنوغرافيا الخاصة بالتحدث، والإحداث التواصلية)، وما الى ذلك. وضمن مسألة تشييد المكانة الإعلامية والثقافية للتداولية، يرى الأستاذ جاكوب ماي(Jacob Mey) أن «التداولية أول منهج ذي دوافع تاريخية تجاه ممارسة علم اللغة المرتبط بالمجتمع» (Mey, 1994 pp٣٢٦٠ .-٣٢٧٨) وعند إعادة صياغة كلمات ماي، يتضح أن التداولية الأنثروبولوجية يمكن أن تعطي أيضا مهمة محاولة حل العديد من الصعوبات العملية الكامنة في ممارسة الوظائف اللغوية، وقد تم فتح عدد غير قليل من هذا الصعوبات ذات الطبيعة التواصلية للتداولية الأنثروبولوجية من خلال الدراسة الإثنوغرافية المعمقة.

ترتبط الانثروبولوجيا بالتداولية ارتباطا وثيقا اذ تدرس الانثروبولوجيا اللغوية العلاقة بين تعبيرات اللغة الطبيعة واستخداماتها في مواقف محددة من جهة ودراسة أنثروبولوجيا اللغة باعتبارها استعداد بشري وبيولوجي لتوصيل معلومات دقيقة بالوسائل اللفظية (. Bussmann, [1990] 1996 pp٣٧٤-٣٧٥) وإذ عدت التداولية على انها دراسة القواعد والمبادئ التي تحكم باللغة المستخدمة، يجب اعتبار الدراسات في التداولية الأنثروبولوجية ذات كفاءة عالية للباحثين الذين يدرسون عددا من جوانب الخطاب، حيث ينظر إلى اللغة -بشكل عام -والنصوص -على وجه الخصوص -على إنها طريقة منظمة بشكل معقد وبشرية بطبيعتها لاكتساب معاني للتفاعل مع البيئة .

اما الاستاذ برونيسلاف مالينوفسكي (B. Malinowski) اوضح روابط المجامله وسياق الحال عن مناقشته «مسألة المعنى في اللغات البدائية» بعد ثلاث سنوات من بحثه اللغوي الصريح

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الأول عن «الخصائص التصنيفية في لغة كيريوينا (Malinows–Kiriwina ki, 1920 . pp٣٣–٧٨) وقبل عقد من الزمن او أكثر بقليل من نشر مقالته الثانية في كتابه حدائق المرجان وسحرها، حيث قدم «نظريته الإثنوغرافية للغة» وأكد منذ بداية بحثه على أهمية علم اللغة للأنثروبولوجيا بشكل عام وللإثنوغرافيا بشكل خاص.

تركزت اهتماماته اللغوية على اللغة بوصفها نمطاً للسلوك وعلى مشكلات المعنى الثقافي الذي ينص صراحة على أن الوظيفة الرئيسة للغة ليست للتعبير عن الفكر وليس التكرار للعمليات الذهنية، وانما تلعب دوراً فعالاً في السلوك البشري، لكن هذا لا يعني أنه ينكر أن اللغة هي أداة تفكير وتواصل للفكر وان دراسة المسألة اللغوية لا غنى عنها، ولاسيما إذا أردنا فهم العوامل السيكولوجية–الاجتماعية للناس، وهذا يعني طريقة تفكيرهم، المشروطة عادة بخصائص ثقافتهم، ولا يمثل هذا الاستخدام للوظيفة الرئيسية، انما هناك وظائف عملية متطورة للغة، وتعد أُنموذجا لطريقة النظر إليها وظيفيا وسياقيا مع الدلالات التي تحملها بوصفها نقطة اولية للتحليلات اللغوية، إذ إن معنى الكلام يكمن في الاستخدام، ولأجل دراسة المعنى لابد من أن نتجاوز الكلمات المعزولة وان نفحص الجمل أو الألفاظ في سياقها الموقفي، فالفهم الحقيقي للكلام دائمًا ما يكون مستمدًا من الخبرة الفاعلة لتلك الجوانب الخاصة بالواقع الذي تنتمي إليها الالفاظ (العباسي، (٢٠١٩) . ص ٣٧–٣٨).

اذ يرى الأستاذ إدوارد سابير (E. Sapir) ان دراسة اللغة بمعزل عن السياق الحضاري والثقافي عمل عقيم، وقد لا تجدي نفعا لاسيما على المستوى الدلالي، لذا يؤكد مالينوفسكي ان اللغة في وظيفتها البدائية والشكل الأصلي لها طابع تداولي بشكل أساس، وإنها نمط من السلوك، وعنصر لا غنى عنه

في العمل الإنساني المتضافر، وكوسيلة التعبير عن الفكر عندما يتم اتخاذ وجهة نظر من جانب واحد او من أكثر وظائفها المشتقة والمتخصصة، وأنها تعمل كأداة قابلة للاستعمال ومتوافقة مع هدف محدد.

يؤكد الكثير من الباحثين على ان اللغة ظاهرة اجتماعية يُعبِّر بها الناس عن أفكارهم وحاجاتهم؛ وهي متأثرة بالمحيط الخارجي، وتُستعمل كوسيلة تعبيرية تأثيرية وليست شيئاً مجرّداً عن الواقع الذي توجد فيه، وانّ وظيفتها التفاعل مع هذا الواقع، وعليه لا يمكن عزل عملية الكلام عن المحيط الخارجي للّغة. لذا يوصف الأستاذ جونتر سنيت (G. Senft) في مقالته (برنسلاف مالينوفسكي والتداولية اللغوية) الى ان مالينوفسكي اشار إلى أنه من المفيد جداً في اللغويات توسيع مفهوم السياق بحيث لا يشمل فقط الكلمات المنطوقة ولكن التعبير الوجهي، والإيماءات، والأنشطة الجسدية، ومجموعة كاملة من الناس الحاضرين خلال تبادل الكلام وجزء من البيئة التي ينخرط فيها هؤلاء الأشخاص. لقد ميز نظريته المعهودة في المعنى كنظرية تصر على ربط الأوصاف الإثنوغرافية بالتحليل اللغوي الذي يزود اللغة بسياقها الثقافي وثقافتها بتفسيرها اللغوي. إذ سعى ضمن هذا النص الأخير باستمرار إلى تبني قواعد اللغة مع سياق الموقف ومع سياق الثقافة (Senft, Bronislaw Malinowski and linguistic pragmatics, 2005 . p١٤٦). وبالنسبة للغة الفنية، في المسائل العملية للممارسة، فانها تكتسب معناها فقط من خلال المشاركة الشخصية في هذا النوع من الممارسة. ويجب تعلمها، ليس من خلال التفكير ولكن من خلال العمل، اذ إن دراسة أي شكل من أشكال الكلام فيما يرتبط بالأعمال الحيوية من شأنه أن يكشف عن الخصائص النحوية والمعجمية نفسها: اعتماد معاني كل كلمة على التجربة العملية وبناء كل كلمة على

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الحالة المؤقتة التي يتحدث بها، وبالتالي فإن النظر في الاستعمالات اللغوية المرتبطة بأي جهد عملي، يقودنا إلى استنتاج أن اللغة في أشكالها البدائية يجب أن يتم النظر فيها ودراستها على خلفية الأنشطة البشرية وكطريقة للسلوك في الأمور العملية.

إن كل اللغات المستعملة خلال هذه الممارسة هي المليئة بالمصطلحات الفنية، واشارات مقتضبة نحو البيئة المحيطة، ومؤشرات سريعة للتغير الحاصل في العمليات الحياتية اليومية، وكل ذلك يعتمد على أنواع السلوك العرفي، والمألوف جيداً لدى المشاركين بالتجربة الشخصية في مثل هذه المواقف اليومية، اي ان (الكلام لـ مالينوفسكي) كل كلمة مرتبطة بشكل أساس بسياق الحال مع الهدف من الممارسة، سواء أكانت المؤشرات القصيرة عن تحركات الناس أو بلاغات مرجعية عن المناطق المحيطة، أو التعبير عن الشعور والعاطفة المرتبط ارتباطًا وثيقًا بالسلوك، أو كلمات القيادة أو ارتباطات العمل. اذ إن تركيبة كل هذه المادة اللغوية تختلط معًا وتعتمد على مسار الفعل الذي يتم فيه تضمين الكلام، فالمفردات، وان معنى الكلمات الخاصة المستعملة في التقنية المميزة الخاصة لا تقل عن العمل (العباسي، **(٢٠١٩)** . ص **٣٧-٣٨)**.

يصرح الاستاذ مالينوفسكي بأن دراسته للمجتمعات لن تصح دون معرفة الوظيفة التي تقوم بها اللغة في المجتمع، ومفاد رأيه أن اللغة ليست مجرد وسيلة للتفاهم أو التوصيل انما هي حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنتظم، أي أنها جزء من السلوك الإنساني أو أنها ضرب من العمل، ورأى أن اللغة وفقا لممارستها بين أصحابها إنما هي نوع من السلوك وضرب من ضروب العمل وليست وسيلة من وسائل توصيل الأفكار أو الانفعالات أو التعبير عنها أو نقلها.

ان اللغة عنده اداة للنشاط الاجتماعي

والنشاط الإنساني المشترك ومعنى أي نمط منطوق يتحدد من خلال دراسة أثره في المحيط الذي استعمل فيه ولهذا فانه كان يردد أن المعنى ما هو الا الاستعمال إذ لو وجد أحد الأوربيين نفسه وسط مجتمع من التروريانديين وأعطى ترجمة حرفية لكلامهم لما ساعده ذلك على فهمهم بأكثر فيما لو بقيت العبارات من دون ترجمة، فمعنى العبارات لا يتضح إلا من خلال نمط الحياة التي هم جزء منها، ومن ثم، فإن دراسة اي لغة، لابد ان تكون مسبوقة بدراسة أخرى لأوجه النشاط العامة للمجتمع، الذي يستعمل هذه اللغة، لأن اللغة من وجهة نظره، ليست في الواقع إلا جزءا من هذا النشاط، وطريقا من طرائق السلوك. لذا طور نظريته الإثنوغرافية للغة بشكل أساس فيما يرتبط بمحاولاته لترجمة الصيغ السحرية لسكان جزيرة تروبرياند. وقدم وصفا لنظريته – التداولية – عن المعنى بأنها نظرية تصر على «ربط التصوير الإثنوغرافي بالتحليل اللغوي الذي يزود اللغة بسياقها الثقافي وثقافتها بإعادة تفسيرها اللغوي. ضمن هذا الأخير وسعى باستمرار لربط القواعد بسياق الموقف ومع سياق الثقافة» وانه يعد الكلام جزءًا من سياق الموقف الذي يتم إنتاجه فيه، فاللغة –في وظيفتها البدائية –لها طابع تداولي أساسًا، و»المعنى يكمن في الوظيفة التداولية للكلام» (Bau–man, 1992 . pp١٤٥–١٤٧).

يقدم مالينوفسكي مفهوم « روابط المجاملة phatic communion » في علم اللغة. من خلال مناقشة اللغة المستخدمة في ما يسميه «الاتصال الاجتماعي الحر الذي لا هدف له»، والذي يرتبط بـ «الاستفسارات عن الصحة، والتعليقات على الطقس» وصيغ التحية للتعبير عن الكلام الذي يؤدي هذه الوظيفة والذي يكون فيه معنى الكلمات المألوف خارجا عن الموضوع، ويورد عبارات مثل كيف

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

حالك، وهذا يوم جميل، كأمثلة على هذا النوع من التواصل، اذ يشير: بالنسبة للإنسان الطبيعي، فإن الصمت ليس عاملاً مطمئنًا، انما على العكس بالنسبة لإنسان اخر، أمر مقلق وخطير وإن كسر الصمت، والمشاركة بالكلمات، هو أول عمل لإثبات روابط المعاشرة او الصحبة، التي لا تتم (مثلا) إلا من خلال تقاسم رغيف الخبز ومشاركة الطعام. ولعل التعبير الإنجليزي الحديث، «Nice day to day» أو العبارة الميلانيزية «من أين أتيت؟» للتغلب على التوتر الغريب المزعج الذي يشعر به الناس عند مواجهة بعضهم البعض في صمت (Senft, Phatic communion, 2005 .p٢٢٧). اذ هل الكلمات في روابط المجاملة تستخدم في المقام الأول لنقل المعنى، المعنى الذي هو رمزياً بالنسبة للمستعملين؟ بالتأكيد لا! إنهم يؤدون وظيفة اجتماعية وهذا هو هدفهم الرئيس، ولا يثيرون بالضرورة التفكير في المستمع. كل قول هو فعل يخدم الهدف المباشر المتمثل في إلزام المستمع بالمتحدث من خلال رابط من بعض المشاعر الاجتماعية أو غيرها. مرة أخرى، لا تبدو اللغة لنا كأداة للتفكير ولكن كأسلوب عمل تعمل روابط المجاملة على إقامة روابط اتحاد شخصي بين الناس الذين تجمعهم مجرد الحاجة إلى الرفقة ولا يخدم أي غرض من توصيل الأفكار. وهكذا، فإن مفهوم مالينوفسكي عن المجاملة «phatic» يسلط الضوء – ما يسميه علماء السلوك – «وظيفة الترابط» للغة (Senft, Phatic communion, 2005 .p٢٢٧) .

يفسر الاستاذ كونراد إيليش (C. Ehlich) بشكل معقول تمامًا استخدام مالينوفسكي لكلمة رابط مع دلالاتها الدينية كوسيلة للتأكيد شدة هذا النوع من الكلام. اذ إن تحقيق `` الوئام () من خلال استخدام الكلام بالتحديد هو ما أكده مالينوفسكي (Ehlich, 1993 . pp٣١٥-٣١٧). وتعد

وظائف الروابط الرئيسية هي لإنشاء والحفاظ على أجواء ودية ومتناغمة في العلاقات بين الأشخاص، وخاصة خلال المراحل الافتتاحية والختامية من اللقاءات الاجتماعية-اللفظية -. اذ تُفهم هذه الأقوال على أنها وسيلة لإبقاء قناة الاتصال مفتوحة. وقد يُزعم عمومًا أن التواصل العام يتميز بعدم نقل المعنى، وعدم استيراد المعلومات؛ وهكذا، يتم وصف الكلام الحركي على أنه إجراءات من دون محتويات دلالية. الا انه وصفت صيغ التحية والتعليقات على الطقس والاستفسارات العابرة حول صحة شخص ما وموضوعات نقاش صغيرة أخرى بأنها أمثلة نموذجية للتواصل عن طريق المجاملة، وانه منذ صياغة مالينوفسكي لهذا مصطلح، فقد تعامل الكثير من العلماء لاسيما في المدرسة الانثروبولوجية في الولايات المتحدة الأمريكية اكثر من غيرها مع هذا المصطلح، وكان لأفكار مالينوفسكي حول الكلام كعمل بالتأكيد تأثير كبير على الإثنوغرافيا الخاصة بنموذج التحدث وكذلك على تحليل الخطاب والمحادثة.

يعقب الاستاذ ديل هايمز (D. Hymes) في «سجله الإثنوغرافي» الذي يشير إلى أن هذا النوع من «الاتصال بعيد كل البعد عن كونه دافعًا مهمًا أو حتى مقبولًا عالميًا» ولاجل تأكيد وجهة نظره يقتبس هايمز من الاستاذ فليب كاردنر .P Gardner)) الذي يشير إلى أن الباليين Paliyans في جنوب الهند «يتواصلون قليلاً جدًا في جميع الأوقات ويصبحون صامتين تقريبًا في سن الأربعين. ويُنظر إلى الأشخاص اللفظيين والمتصلين على أنهم أشخاص غير عاديين وغالبًا ما يكونون مسيئين» بالإضافة إلى ذلك، وعلى أساس خبرته الشخصية في العمل الميداني، يشير هايمز إلى أنه مع قبائل «ويشرام شينوك Wishram Chinook على نهر كولومبيا انه لا يتحدث المرء عندما لا يكون لديه ما يقال» (Hymes, 1974

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

pp٣٥٠-٣٧٧). ومع ذلك، لا يوضح هايمز ما إذا كان سكان Paliyans «الصامتون تقريبًا» لا يتبادلون التحية أبدًا، على سبيل المثال، في ظل ظروف معينة؛ ولم يشرح بالتفصيل مفهوم ما هو عليه مع Wishram Chinook الذي «يجب أن يقال».

واشار الأستاذ ديفد كرستال (D. Crystal) إلى أن الثقافات تختلف اختلافًا كبيرًا في الموضوعات التي تسمح بها كروابط للمجاملة. فالطقس ليس حشوًا عالميًا للمحادثات كما يراه الإنجليز في تفكيرهم، ولكنه على سبيل المثال، غالبًا ما يُسمع صوت نساء روندي (في بوروندي، وسط إفريقيا)، عند أخذ إجازة، ليقولن بشكل روتيني وأدب، «يجب أن أعود إلى المنزل، وإلا سيضربني زوجي

(Crystal, 1987 .pp١١-١٢)».

وهنا يقدم او يتساءل مالينوفسكي: لكن ما الذي يحدث بالفعل؟ من خلال هذا الشكل من التحية، وللاجابة يشير مالينوفسكي الى ان سكان جزر تروبرياند ويؤكدون للأشخاص الذين يتم توجيههم -والترحيب بهم -بهذه الطريقة أنه يمكنهم الاعتماد تمامًا على وضعهم كأعضاء في مجتمع يهتم فيه الجميع بالآخر. هذا يعني ضمناً أمان الشخص داخل الشبكة الاجتماعية للمجتمع، وهذا يضمن أيضًا طريقة آمنة للأشخاص للوصول إلى وجهته أو الى إقامة آمنة، اي طريقة آمنة للعودة إلى المنزل من حيث أتى.

أكد الاستاذ فلوريان كولماس (F. Coulmas) في مختاراته الروتينية للمحادثة في اللغة اليابانية أنه على الرغم من أن «معظم الاعتذارات التي لوحظت في التفاعل اليومي» تبدو «إجراءات روتينية منزوعة الجوهر من دون محتوى دلالي، إلا أنها تعمل فقط كوسيلة» لروابط المجاملة «» وقد يبدو أن الموقف أكثر تعقيدًا: «اذ يجب النظر

إلى الاستخدام المماثل وظيفيًا للاعتذار وتعبيرات الامتنان كانعكاس مهم للقيم الاجتماعية والمواقف السائدة في الثقافة اليابانية « (Coulmas, 1981 p٨٧ .). ويشير الاستاذ جون لافر (J. Laver) إلى أن «السلوك اللغوي لأساليب المحادثة، بما في ذلك التحيات والفراق، وكذلك الالتماسات، والشكر، والأعذار، والاعتذار، والكلام القصير، هو جزء من الذخيرة اللغوية للتأدب» (Laver, 1981 . pp289-304).

وقد وجد كل من Brown & Levinson)) من خلال مناقشة وتحليل الأقوال لروابط المجاملة، أنه بالإضافة إلى الوظيفتين الاجتماعيتين اللتين ذكرهما مالينوفسكي بالفعل (أي «نزع فتيل العداء المحتمل للصمت» والسماح للمشاركين في لقاء لفظي اجتماعي «بالتعاون في بدء التفاعل بشكل مريح» فان هذه الروتينات اللغوية لها أيضًا وظيفة ثالثة وربما أكثر أهمية في المرحلة الأولى من المحادثة: « اذ تسمح روابط المجاملة للمشاركين أن يشعروا بطريقتهم نحو إجماع العمل على تفاعلهم، مما يكشف جزئيًا عن تصورهم ووضعهم الاجتماعي النسبي» (Laver, 1981 . pp289-304).

يوسع مالينوفسكي مفهوم روابط المجاملة عند ربطها بمفهوم «سياق الموقف» الذي يعد مهمًا جدًا لنظريته في اللغة. اذ أكد على أن اللغة -على الأقل في وظيفتها البدائية -يجب أن يُنظر إليها على أنها طريقة عمل وليس إشارة مضادة للفكر؛ وأن فهم استخدام موقف الكلام المعقد يتطلب فهم الموقف الذي حدث فيه والفعل الذي أنجزه.

تعد مسألة مقتضى أو سياق الحال (context of situation) عنده هي الطريقة التي يجب أن تدرس بها معاني اللغة ولذا فقد عد المعطيات الاجتماعية بمثابة الخلفية التي يجب الرجوع اليها لتحديد القصد من البناءات والتراكيب التي قد توحي بأكثر من معنى (التي تحمل

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

عدة دلالات أو الجمل الملبسة الدلالة) فالمعطيات الاجتماعية اشبه بأداة يستعملها الباحث اللغوي ليتمكن من فهم اشكال لغوية محددة وتحليلها. وقد طور في المجلد الثاني من «حدائق المرجان وسحرها» الفكرة المركزية لنظريته، أي «أن المعنى الخاص بالألفاظ يوفرها سياق النشاط البشري المتزامن» ويشير إلى أن «الحقيقة اللغوية الحقيقية هي التعبير الكامل في سياق حالته» ويؤكد «أن سياق الحال قد يمكّن المرء من إزالة جمل غامضة لغويا (العباسي، (٢٠١٩) . ص ٣٧-٣٨). فسياق الحال يهتمّ بدراسة المحيط الذي يقع فيه الكلام، ويشمل الظروف المحيطة بالحدث الكلامي لسياق الموقف. ويعد مالينوفسكي أوّل مَن استعمل مصطلح (الظروف الخارجية للنصّ) من المحدثين وخلاصة آرائه إزاء هذا الموضوع تكمن في أنّ (معنى الجملة يتحدد في السياق المعيّن الذي ترد فيه والبيئة الطبيعية، أو الواقع الثقافي للمجتمع). «انطلاقا من محاولته ترجمة بعض النصوص لمجتمعات بدائية، فلما عجز تفطن إلى أن الكلام الملفوظ لا يكون له معنى إلا إذا سُيِّق. غير أن مالينوفسكي رفض اتخاذ اللغة معيارا» لأن المعيار يقتصر على أداء مهمة محدودة في اللغة، ولأن الأصل ليست مرآة تعكس الأفكار إنما هي أنواع من السلوك.

وعندما جاء الاستاذ جون روبرت فيرث[1] (J.R. Firth) من بعده تبنى فكرة (سياق الحال)، إذ فضَّل الأخير أن

(١) جون روبرت فيرث (١٨٩٠ - ١٩٦٠) لغوي بريطاني وشخصية رئيسة في تطوير علم اللغة ببريطانيا خلال خمسينيات القرن العشرين. كان أستاذًا للغة الإنجليزية في جامعة البنجاب من ١٩١٩ إلى ١٩٢٨. ثم عمل في قسم الصوتيات في كلية لندن الجامعية، قبل أن ينتقل إلى مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية، حيث أصبح أستاذًا في اللسانيات العامة، وهو منصب شغله حتى تقاعده في عام ١٩٥٦. له مؤلفات عديدة مثل كتابه الكلام (١٩٣٠) والسنة الرجال (١٩٣٧) واوراق في اللغويات (١٩٥١)

ينظر إلى سياق الحال بوصفه جزءاً من أدوات عالم اللغة، مثله مثل الفصائل النحوية التي يستخدمها. لذلك، تعد فئات القواعد النحوية بالنسبة إليه هي انعكاسات المواقف الإنسانية العالمية تجاه الحياة، والتي يتم إخراجها من خلال الظروف العالمية وهكذا، فإن فئات القواعد العالمية هذه يجب أن تكمن وراء التصنيفات الضمنية في السلوك الإنساني غير اللغوي.

وقد أولت المدرسة السياقية الاجتماعية ورائدها فيرث اهتماما بالغا بسياق الحال وعدته المحور الأساسي والأهم في الدراسة اللغوية. وبصورة مغايرة لتوصيلية براغ، استعمل علماء المدرسة السياقية الاجتماعية سياق الحال بوصفه وظيفة اجتماعية. وأفاد العالم الإنكليزي جون فيرث من أفكار مالينوفسكي في بناء نظريته اللغوية الاجتماعية غير أنه رفض الاكتفاء بسياق الحال لوضع نظريته، فارتأى أن يدخله مع الأنماط البنيوية في الدراسة اللغوية، ورأى أن سياق الحال يشبه سياق المقال في قابليته للتجريد. غير أن أول ما يقوم به الباحث هو دراسة سياق الحال، «ولا بد في هذه الدراسة أن يبتكر الباحث نظاما يطبقه على الأحداث اللغوية. وهذا النظام يتكون من مجموعة من الاعتبارات التجريدية، غير التركيبية اللغوية». ولسياق الحال عند فيرث عناصر هي:

١. شخصية المتكلم والسامع، وتكوينهما الثقافي وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع.

٢. العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة؛ كحالة الجو – إن كان لها دخل – والوضع السياسي ومكان الكلام... الخ.

٣. أثر النص الكلامي في المشتركين: كالإقناع والألم...الخ.

ويتطلب تحليل أو دراسة سياق الحال دراسة نوعين من العلاقات:»

١. عناصر داخلية بين عناصر

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الحديث اللغوي في ذاته، وهي نوعان:

أ. علاقات سياقية أفقية بين عناصر أو وحدات التركيب مدروسة على وفق مستويات تحليلية متعددة.

ب. علاقات جدولية أو رأسية للمفردات أو الوحدات التي يحل كل عنصر منها محل الآخر في إطار نظام محدد لتعطي قيما محددة لعناصر التركيب.

٢. علاقات داخلية في إطار الموقف الذي يتم فيه الحدث، وهي نوعان:

أ. النص في اتصاله بالمكونات غير اللفظية مع تأثيره الكلي أو ثمرته المحددة.

ب. علاقات تحليلية بين أجزاء النص (الكلمات أو العبارات أو أجزاء الكلمات) ومكونات خاصة في الموقف نفسه (أشياء أو أشخاص أو أحداث).

والمكونات الأساسية للمعنى الكامل أو المركب هي وظيفة الأصوات والعناصر المعجمية والصرفية والنحوية والموقف بتمامه».

بعد الصيغة الأولى، يأتي تدفق اللغة، والتعبيرات غير المقصودة عن التفضيل أو النفور، وروايات الأحداث غير ذات الصلة، والتعليقات على ما هو واضح تمامًا. ثم إنّ معنى الجملة لا يمكن تحليله على وفق مقتضيات سياق الحال، إلّا إذا أخذنا بنظر الاعتبار العناصر الأساسية لهذا السياق على المستوى الاجتماعي، وهذه العناصر هي:

١. الحقائق المتعلقة بالمشاركين في الحدث اللّغوي، كأن نذكر . مثلاً . ما إذا كان المشارك طفلاً، أو رجلاً ناضجاً، ذا مكانةٍ اجتماعيةٍ مرموقة، أو امرأة. ويندرج تحت هذا العنوان الخلفية الثقافية للمتكلّمين.

٢. الأحداث اللّغوية نفسها، أي: العبارات المنطوقة بالفعل، وكيفية نطق الجملة أو الجمل من حيث التنغيم والنبر الخلافي، وما يصاحب هذه الأحداث اللّغوية من مظاهر لُغوية غير منطوقة، كحركة اليدين، وتعابير الوجه.

٣. الأُمور المادية التي لها صلة مباشرة

بالحدث اللغوي (Relevant Object-).

٤. أثر العبارات اللغوية المنطوقة فعلاً (أي: ما يستتبع النطق من سلوك اعتماداً على العبارة المنطوقة، فقد تؤثر جملة ما على أحد السامعين، ولكن لا تترك نفس الأثر في سامع آخر؛ لاختلاف العادات والتقاليد).

وركز فيرث على الإشارات الأخرى الداعية إلى دراسة التركيب اللغوي فيما وراء الجملة؛ الذي أشار إلى أهمية النظر إلى عملية الكلام في سياق الموقف؛ إذ إنّ معنى الكلام -كما يرى فيرث- هو مجموعة مركبة من العلاقات السياقية، وعلى الدراسة اللغوية بكلّ جوانبها: الصوتية، والمعجمية، والدلالية والنحوية- أن تعالج مكوّناتها هذه، في إطار سياقها المناسب. فالدراسة اللغوية يجب أن تربط الكلمات بسياق الموقف الذي ترد فيه، ذلك أن عملية التحليل الدلالي تتمُّ على وفق سياق منسق من الأحداث، يتداخل مع سياقات مختلفة تنتمي في مجموعها إلى سياق عام يوصف بالسياق الثقافي، وهو الإطار العام الذي بداخله يتحقّق إحداث المواقف اللغوية.

إذن موضوع اللغة عند فيرث هو دراسة اللغة في سياق كلامي فعلي، لأنّه يرى أنّ استعمال اللغة ما هو إلا شكل من أشكال الحياة الإنسانية، لذا فإنّ منهج دراسة اللغة عنده يقوم على أساس تحديد عناصر النشاط اللغوي، وبيان علاقاته في سلسلة من المستويات المتكاملة، تكشف عن العلاقات المتبادلة فيما بينها، وقد قسّم فيرث هذه العلاقات على نوعين:

تبدو آراء فيرث هذه أقرب إلى ما قدّمته الدراسات اللغوية النصّية المعاصرة، ومما لا شك فيه أن هذه الدراسات أفادت من آراء فيرث، إلاّ أنّ فيرث نفسه لم يقم بدراسة مجمل العمليات اللفظية في سياق موقفها، على الرغم من حثّه علماء اللغة على القيام بمثل هذه الدراسات، وفضّل التركيز على النظام الصوتي للغة.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

استند الاستاد تي اف ميتشيل[1] (T. F. Mitchell) في مقالته (البيع والشراء في سيرنايكا) إلى التحليل الدلالي، معتمدا في ذلك على آراء (فيرث) الخاصة بالسياق، فحدّد بالتفصيل عناصر السياق المتعلّقة بالكلام المشاركين فيه، وقسّم عملية البيع والشراء على مراحل، وعلى وفق معايير دلالية خالصة. وعدّ المرحلة فئة تجريدية، لا يتضمّن ترقيمها تسلسلا زمنيا، ووصف ثلاث فئات رئيسة للتعامل التجاري، وهي؛ مزادات السوق، ومعاملات السوق التجارية الأخرى، ومعاملات البيع في الدكاكين. وعلى الرغم من أنّ الفئتين الثانية والثالثة صُنِّفتا اعتمادا على اشتراكهما في المراحل الخمس الآتية (. Mitchell, 1957 pp٣١-٧١):

١. التحية.
٢. الاستعلام عن الشيء المعروض للبيع.
٣. فحص الشيء المعروض للبيع.
٤. المساومة.
٥. القرار النهائي.

ويرى الاستاذ مالكوم كولتهارد[2] (M. Coultthard) أنّ هذا البناء يعدّ مثاليا؛ إذ قد لا تظهر المرحلتان الأولى والثانية، وقد تفهم المرحلتان الثالثة والخامسة من دون كلام؛ لذا فقد عُرفت المراحل جميعها ومُيّزت بالفاعلية التي ترد ضمنها، لا بمعالم لغوية مميزة -باستثناء المرحلة الرابعة التي يبتدئها المشتري بالعبارة (كم السعر؟)-. (Coulthard, ١٩٨٥).

(١) تي إف ميتشل (١٩١٩-٢٠٠٧) لغويًا بريطانيًا وأستاذًا في اللغويات والصوتيات بجامعة ليدز. نشر ميتشل العديد من المنشورات اللغوية، لا سيما في مجال اللغة العربية المنطوقة والمكتوبة. كتب كتبا مدرسية عن كلا الموضوعين.

(٢) ريتشارد مالكولم كولتهارد (مواليد ١٩٤٣) لغوي إنجليزي وشخصية بارزة في علم اللغة التطبيقي الذي اشتهر بأبحاثه في تحليل الخطاب. بالإضافة إلى ذلك، قام بتشكيل مجال علم اللغة الشرعي اي تطبيق الوصف اللغوي في السياقات القانونية.

وقد قام ميتشيل بوصف مراحل البيع والشراء لغويا، بأن قدّم أمثلة لأنواع من أشباه الجمل والعبارات التي تُردّد وكأنّها لازمة في عملية البيع والشراء.

ثبت المراجع والشروحات

١. مسعود صحراوي. (٢٠٠٥). التداوليه عند العلماء العرب. بيروت , لبنان: دار الطليعه للطباعه والنشر.

٢. ياس العباسي. (٢٠١٩). الادبيات اللغوية التأسيسية في الانثروبولوجيا الثقافية. مجلة الأستاذ–جامعة بغداد، المجلد ٥٨، العدد ٢.

3. Bauman, R. (1992 pp145-147). Text and discourse in anthropological linguistics. Oxford University Press.
4. Bussmann, H. ([1990] 1996). "Pragmatics." Lexicon der Sprachwissenschaft. (G. T. London, Trans.) Stuttgart: Routledge.
5. Coulmas, F. (1981). Poison to your soul.
6. Coulthard, M. (1985). An introduction to discourse analysis (Applied linguistics and language study). New York: Taylor & Francis.
7. Crystal, D. (1987). The Cambridge encyclopedia of language. Cambridge University Press.
8. Ehlich, K. (1993). Communication.
9. Hymes, D. (1974). Foundations in sociolinguis-

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

tics. University of Pennsylvania Press.

10. koyama, w. (2006). Anthropologyandpragmatics. (K. Brown, Ed.) Amsterdam,Boston: Oxford : Elsevier.
11. Kroeber, T. (1953, April 2). Journal of the History of Ideas, pp. 264–275.
12. Laver, J. (1981). Linguistic routines and politeness in greeting and parting.
13. Malinowski, B. (1920). Classificatory particles in the language of Kiriwina. Bulletin of the School of Oriental Studies.
14. Mey, J. L. (1994). “Pragmatics.” The Encyclopedia of Language and Linguistics. (J. S. R. E. Asher, Ed.) Oxford, New York: Pergamon Press.
15. Mitchell. (1957). The language of buying and selling in Cyrenaica.
16. Senft, G. (2005). Bronislaw Malinowski and linguistic pragmatics. Frankfurt.
17. Senft, G. (2005). Phatic communion. Nijmegen: Max Planck Institute for Psycholinguistics.